الشّخصيّة بين المنهج القرآني وعلم النفس الحديث

أ.د. الرضي جادين الإمام [1]

الملخص

تهدف هذه الدراسة لمعرفة البناء النفسي الذي تقوم عليه الشخصية من وجهة نظر علماء النفس المحدثين ، من خلال ما جاء في الأدب النفسي عن مكونات الشخصية ومحدداتها، والعوامل التي تؤثر في بنائها ، ومقارنة ذلك بما وصف به القرآن الشخصية ، وصوّرها في أحسن صورة من ناحية مكوناتها العقديَّة، وما تتصف به من سمات ، سواء كان ذلك في العقيدة، أو العبادات، أو السلوك الأخلاقي، والنتيجة التي توصلت إليها هذه الدراسة: أنه من خلال سرد الأدب النفسي للشخصية من منظور القرآن، وعلم النفس الحديث نجد أن الشخصية(المسلمة) تأخذ بما يقرره القرآن العظيم من ضروب الهداية، وبناء العقائد على ما في القرآن والسنة، والأخذ بالبراهين العقلية وبناء الأحكام الأدبية والعلمية على قواعد المصالح والمنافع ودفع الأذى والمضار، والإيمان بأن للكون سنناً مضطردة تجري عليها عوامله العاقلة وغير العاقلة، والحث على النظر في الأكوان للعلم والمعرفة بما فيها من الحكم والأسرار التي يرتقي بها العقل وتتسع بها أبواب المنافع للإنسان.

كما أنه توجد فروق في مكونات الشخصية بين القرآن، وما جاء به علماء النفس المحدثون، حيث أن هنالك تمايزاً واضحاً في مكونات الشخصية، لصالح ما وصف به القرآن الشخصية، من حيث المكون العقدي، والسلوكي.

(١) مدير إدارة الجودة. جامعة الجزيرة.

في ضوء هذه النتائج يمكن أن نقول أن القرآن قد وصف الشخصية وصفا مميزا أبعدها عن الاتجاه المادي الذي نادى به علم النفس الحديث، حيث مزج القرآن بين مطالب الجسد، ومطالب الروح في مكونات الشخصية، الأمر الذي يجعلها شخصية متوازنة ومعتدلة .

أولا: الإطار العام للدراسة

١ ـ ١. المقدمة

إن جميع بحوث علماء النفس، مهماتباينت مجالاتها واختلفت ميادينها، إنما تدور حول محور أساسي، وتحاول الوصول إلى هدف رئيس هو فهم الشخصية الإنسانية، ولكي يتم التعرف على الشخصية وفهمها فهما سليما، يجب معرفة جميع المقومات التي تُسْهِمُ في تكوينها، والعوامل التي تحددها وتؤثر فيها، وقد بذل علماء النفس المحدثون كثيرا من الجهد في محاولتهم فهم الشخصية الإنسانية، ووضعوا في ذلك كثيرا من النظريات، ولكنهم لم يتفقوا حول نظرية واحدة مقبولة تمدنا بفهم سليم وواضح وشامل للشخصية، وذلك لأن كلاً منهم يركز اهتمامه على بعض النواحي المعينة من السلوك الإنساني الذي أمكن إخضاعه لمناهج البحث العلمية الموضوعية. وكثيرا من هذه الدراسات تناولت مظاهر هامشية من السلوك الإنساني، وأغفلت الجانب الروحي من الإنسان، والاقتصار على المنحى المادي الموضوعي. (نجاتي، ١٩٩٣: ٢٤٧).

عندما يفكر الناس في الشخصية، فإنهم يرونها باعتبارها التأثير المتبادل الذي يحدثه الفرد في الآخرين، أو يرونها باعتبارها أهم الانطباعات التي

يتركها الفرد في الآخرين، كأن يرونه مثلا شخصا عدوانيا، أو شخصاً مسالماً. وعلماء النفس ينظرون إلى الشخصية باعتبارها الأبنية والعمليات النفسية الثابتة التي تنظم خبرات الفرد ، وتشكل أفعاله، واستجاباته للبيئة التي يعيش فيها، والتي تميزه عن غيره من الناس .(لازيروس، ١٩٨١: ١٩).

١-٢. مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في معرفة الفروق في مكونات الشخصية حسب وصف القرآن لها، من حيث المكونات العقديّة والعوامل التي تحدد هذه المكونات، وإلى أي مدى تؤثر هذه المكونات العقديّة في سلوك الشخصية المسلمة، والتزامها بالمنهج التربوي الإسلامي، ومقارنة ذلك بما أتى به علماء النفس الغربيون من صفات للشخصية، والسمات التي تميز كل شخص عن الآخر، وإلى أي مدى تتفق تلك الأطر العامة للشخصية مع ما وصفها (الشخصية) القرآن، وتتمثل مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

١-٢-١. هل هنالك شبه في مكونات الشخصية التي قال بها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما جاء به علماء النفس الغربيون من سمات وصفات، فطرية ومكتسبة؟

١-٢-٢. إلى أي مدى تتطابق المحددات والمعايير للشخصية وفق رؤية علماء النفس الغربيين مع التربية الروحية التي يتمثلها الشخص أثناء تكوينه الديني، وتنشئته الاجتماعية؟

٣ـ ١. أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في:

١-٣-١. الكشف عن الفروق في مكونات الشخصية التي قال بها علماء النفس المحدثون، من ناحية المحددات، والأنماط، وتشكيل الشخصية في ضوء المعايير الاجتماعية، خاصة ما أتت به مدرسة التحليل النفسي من مكونات للشخصية، ومدى تطابق هذه المعايير والمحددات مع التربية الروحية التي يتمثلها الفرد أثناء تكوينه الديني في ضوء ما قال به القرآن الكريم، وما أتت به السنة المطهرة، ودور الأسرة في تلك التنشئة .

١-٣-٢. كذلك تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الموجهات التي أتى بها القرآن أثناء التربية الروحية للأطفال، وإلى أي مدى يمكن للشخصية أن تنحرف عن المسار الأخلاقي القويم إذا اتبعت الأسرة أساليب تربوية خاطئة في تربية أطفالها.

١ ـ ٤. **أهداف الدراسة**:

ترمي هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

١-٤-١. معرفة مكونات الشخصية ومحدداتها التي قال بها علماء النفس المحدثون، وأثر تلك المكونات على الشخصية، خاصة إذا تعرضت تلك الشخصية إلى أي أنواع من الضغوط، سواء كانت نفسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية.

١-٤-٢. معرفة الشخصية وفق المنهج القرآني، وأنماطها، ودور الدين في بلورة وتحديد معالم الشخصية المسلمة في مراحل نموها المختلفة، وإلى أي مدي يساعد عنصر الدين في تحقيق الأمن النفسي للفرد، وكذلك علاقة السلوك الديني بالتوافق النفسي للفرد .

١ ـ ٥. **منهج الدراسة**:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي القائم على مقارنة المكونات النفسية للشخصية من وجهة نظر علماء النفس المحدثين، والشخصية حسب المنهج القرآني، وإيجاد الفروق في تلك المكونات والمحددات، وإلى أي مدى يمكن للشخصية في كلٍ أن تتوافق مع متغيرات البيئة المحيطة بالفرد .

ثانيا : **الإطار النظري**:

الإطار النظري لهذه الدراسة يقوم على ترسيخ بعض المفاهيم النفسية المتعلقة بالشخصية وفق آراء علماء النفس المحدثين في ضوء نظريات الشخصية.

ففي بداية القرن العشرين ظهرت تقسيمات لأنماط الشخصية كان أبرزها تقسيم كريتشمر (Kretschemr) وشيلدون (Scheldon) وكارل يونج (K.Jung) ، في شكل نظريات مكتملة الأطر النظرية، وتقدم تفسيرات واضحة للشخصية الإنسانية، حيث يرى آرنست كرتشمر أن الشخصية تقوم على أطر جسدية (الطراز المكتنز ـ الطراز الرياضي ـ الطراز الواهن)، أما شيلدون فيقسم الناس إلى ثلاثة أنماط هي (النمط الداخلي التركيب –Endomorphic ، النمط المتوسط التركيب–Mesomorphic، والنمط الخارجي– Ectomorphic). (زهران، ١٩٩٧: ٥٥)، أما يونج فيقسم الناس إلى نمطين أولها: النمط الانطوائي، وثانيهما: النمط الانبساطي (أباظة، ١٩٩٩: ٦٢).

أما نظرية السمات، فتقول إن الفرد يمكن أن يفهم في ضوء سمات شخصيته التي تعبر عن سلوكه، فيمكن أن يوصف بأنه ذكي، أو غبي، أو عصبي، أو ذهاني. (عبد الرحيم ،٢٠٠٣:٦١)

٢ ـ ١ .مفهوم الشخصية:

يقصد بالشخصية تلك المجموعة من الخصائص والنزعات التي تحدد العموميات والفروق في السلوك النفسي]الأفكار – المشاعر – التصرفات (للأفراد). شهيب ،١٩٨٢: ٥٨).

وهي مجموعة من المميزات السلوكية والتصرفات والأحاسيس الشعورية واللاشعورية، والتصورات العقلية، وهي الفكرة الكلية غير الثابتة التي يكونها كل إنسان عن ذاته وذات الآخرين). الشريف، ١٩٩٢: ١٠).

وهي مجموعة من الصفات الجسدية، والنفسية]موروثة ومكتسبة [والعادات، والتقاليد، والقيم والعواطف، متفاعلة كما يراها الآخرون من خلال التعامل في الحياة الاجتماعية(www.Bafree.com).

الشخصية هي التنظيم الدينامي في الفرد لتلك الأجهزة الجسمية والنفسية التي تحدد طابعه الفريد في توافقه مع بيئته، فعلماء النفس ينظرون إلى الفرد ككل متكامل، يعمل ويستجيب كوحدة تنتظم وتتفاعل فيها جميع أجهزته البدنية، والنفسية، وتحدد سلوكه واستجاباته بطريقة يتميز بها عن غيره (نجاتي، ١٩٩٣: ٢٢٣)

٢ ـ ٢. مكوِنات الشخصية: Personality Components

ينظر البعض إلى الشخصية على أنها شبكة معقدة يتداخل فيها عدد من العناصر، حيث أن تكوين الشخصية الإنسانية يتأثر بالتفاعل المتبادل بين عدد من العوامل، وعلى الرغم من كثرة هذه العوامل إلا أن خبراء السلوك الإنساني اتفقوا على التقسيم التالي لهذه العوامل أو المحددات.

٢ ـ ٢ ـ ١ ـ المكوِّنات الأساسية:

تشير هذه المحددات إلى الخصائص Basic Components الموروثة، التي يولد بها الفرد، وتؤثر الخصائص الموروثة بدرجات مختلفة على إمكانيات وقدرات الفرد المرتقبة بالنسبة لمجالات كثيرة منها:

أ- التَعلم.

ب- الطَاقة

ج- النَشاط

ويعتبر الجنس والسن من العوامل الأساسية المهمة والمؤثرة في شخصية الأفراد (Cattell،1970: 154)

والوراثة تؤثر في شخصية الفرد من خلال الصفات الطبيعية]الجسمية [والنفسية التي تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق الوراثة، كما أن المظهر الخارجي للإنسان يعتبر أحد الأركان الأساسية في تكوين الشخصية، فعلى سبيل المثال تختلف درجة تأثير الفرد على الآخرين باختلاف الحجم والطول ودرجة الذكاء والاستعداد، حيث أن هذه الصفات لها تأثيرها على مفهوم الذات).عمران، د ت : ١٨٣).

٢ ـ ٢ ـ ٢. المكوِّنات الاجتماعية: (Social Components)

تعتبر الأسرة والمجتمع الصغير من أهم العوامل التي تؤثر في تطور ونمو الشخصية، ويمكن إدراك هذه العوامل فيما يلي. (شهيب، ١٩٨٢: ٥٩)

٢ ـ ٢ ـ ٢ ـ ١. المكوِّنات الخاصة بعضوية الفرد في الجماعة:

الإنسان اجتماعي بطبعه، لذلك يتصل بجماعات مختلفة خلال حياته، ونظرا للاحتكاك بهذه الجماعة، يلاحظ اختلاف الأفراد من حيث المعتقدات

والقيم التي يكتسبها من الثقافة السائدة في تلك الجماعات، كما يلاحظ أن القيم والمعتقدات الخاصة بالأفراد تنتقل إليهم عن طريق الأسرة والتعليم والديانة وغيرها، ويترتب على ذلك أن كل فرد يقوم بتطوير مجموعة العلاقات التي اكتسبها من مختلف الجماعات بشكل يؤثر على شخصيته، وعلى الطريقة التي ينظر بها إلى الحياة.

٢ ـ ٢ ـ ٢ ـ ٢. المكونات الخاصة بالدور:

يؤدي كل منا أدوارا متعددة في أوقات مختلفة من حياته اليومية، ولذلك فإن الأدوار التي يقوم بها الفرد لتحقيق إنجازات معينة، إنما تتحدد بواسطة الجماعة التي يوجد مركز الشخص فيها، وعلى سبيل المثال، فإن الأدوار الخاصة بالزوج أو الأب، تتحدد طبقا للعوامل الثقافية السائدة في البيئة التي يوجد بها، في حين أن الأدوار الخاصة بضابط الجيش، أو أستاذ الجامعة تتأثر بشكل واضح بالجماعات المرجعية. أي أن تلك الأدوار يتم تحديدها من خلال أثر الجماعات المرجعية على كل من الضابط والأستاذ.

٢ ـ ٢ ـ ٢ ـ ٣. ترتيب الفرد في العائلة:

وجدت العديد من الدراسات أن هنالك علاقة بين ترتيب الطفل بين إخوته وبين نمو شخصيته، والأهمية النسبية للدوافع المختلفة بالنسبة له، فقد اتضح أن الطفل الأول عادة ما يُولي ويلقى قدرا من الحنان والرعاية، أكثر من الطفل الذي يليه، كذلك أن الطفل الذي يأتي في الآخر قد يلقى نفس الدرجة، ولاشك أن هذه الدرجة من الرعاية والحنان لها تأثيرها على تكوين الشخصية، فقد يؤدي التدليل الزائد إلى فقدان الطفل لشخصيته. (عمران، د ت: ١٨٤)

٢ ـ ٢ ـ ٢ ـ ٤. عملية التَّقمُّص (الهوية): Identification

في الواقع، إن الوالدين لهما دور كبير في هذه العملية حيث أن الطفل عادة ما يحاول تقمص شخصية الكبار وخاصة والديه في المرحلة المبكرة من حياته، فالطفل يعتبر والده مثل الأعلى والطفلة تعتبر والدتها المثل الأعلى لها.

٢ ـ ٢ ـ ٣. المكونات العقديّة للشخصية.

يهتم علماء النفس المحدثون بالعوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية، كمكونات أساسية للشخصية، فهم يهتمون بالعوامل الوراثية والتكوين البدني، وطبيعة الجهاز العصبي والجهاز الغددي، وتأثير العوامل الاجتماعية على الشخصية. كذلك يهتمون بخبرات الطفولة وطريقة معاملة الوالدين، وتأثير الثقافات والطبقات الاجتماعية، وجماعات الرفاق والأصدقاء، على شخصية الفرد.

والعوامل المكونة للشخصية من وجهة نظر علماء النفس المحدثين يمكن تصنيفها إلى مجموعتين رئيستين:

١. عوامل وراثية، وهي عوامل منبعثة من الفرد ذاته.
٢. عوامل بيئية، وهي عوامل منبعثة من البيئة الخارجية، الاجتماعية والثقافية.

فحينما يدرس علماء النفس مكونات الشخصية المنبعثة من طبيعة تكوين الفرد ذاته، فإنهم يقصرون اهتمامهم على دراسة العوامل الجسمية، البيولوجية فقط متناسين أو مغفلين الجانب الروحي من الإنسان، وذلك تمشيا مع أسلوبهم في البحث العلمي الذي يقتصر على دراسة ما يمكن ملاحظته وإخضاعه للبحث في المختبرات العلمية، ولذلك يهمل علماء النفس المحدثون دراسة الجانب الروحي من الإنسان وأثره على الشخصية.

إن إغفال علماء النفس المحدثين للجانب الروحي من الإنسان في دراستهم للشخصية، قد أدى إلى قصور واضح في فهم الإنسان، وفي محاولة معرفتهم للعوامل المحددة للشخصية السوية وغير السوية، كما أدى ذلك أيضا إلى عدم اهتدائهم إلى الطريقة المثلى في العلاج النفسي لاضطرابات الشخصية. (نجاتي، ١٩٩٣: ٢٢٤).

لاحظ المحلل النفسي اريك فروم Erick - (١٩٧٧) قصور علم النفس الحديث وعجزه عن فهم الإنسان فهما صحيحا بسبب إهماله دراسة الجانب الروحي في الإنسان وذلك في قوله (...أصبح علم النفس يعالج كل شيء ماعدا الجانب الروحي، إذ حاول هذا العلم أن يفهم مظاهر الإنسان التي يمكن فحصها في المعمل، وزعم أن الشعور والقيم، ومعرفة الخير والشّر، ما هي إلا تصورات ميتافيزيقية تقع خارج مشكلات علم النفس، وكان اهتمامه في أغلب الأحيان علي المشكلات التي تتماشى مع منهج علمي مزعوم، وذلك بدلا من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان المهمة، وهكذا أصبح علم النفس علما يفتقر إلى موضوعه الرئيس وهو الروح، وكان معنيا بالميكانيزمات وتكوينات ردود الأفعال والغرائز، دون أن يعنى بالظواهر الإنسانية المميزة، كالعقل والشعور والقيم). (فروم،١٩٧٧ : ١١).

غير أن الشخصية (المسلمة) تنطلق من توحيد الله وحده، ويعزز هذا التوحيد من منطلقات أساسية أهمها: (عروة، ١٩٨٧: ٨٩ - ٩٠).

٢-٢-٣-١. العقيدة الإيمانية

٢-٢-٣-٢. العلم والمعرفة.

٢-٢-٣-٣. الأخلاق والسلوك.

هذه المكونات العقيديّة تنبثق من ثلاثة عناصر أساسية هي :

- الفطرة .
- العقل .

• الوحي .

وتظهر تلك المكونات في ثلاثة ميادين تطبيقية هي :

أ- الإيمان.

ب- العلم.

ت- العمل.

ويمكن تمثيل تلك المكونات في الأشكال أدناه .(الجسماني ،٢٠٠١)

٢-٢-٣-١. العقيدة الإيمانية، هي الصلة الضميرية بين الخالق والمخلوق، وتشترك في تحصيلها ثلاثة عناصر أساسية يمثلها الشكل التالي :

شكل رقم (١)

يوضح العناصر الأساسية للعقيدة الإيمانية

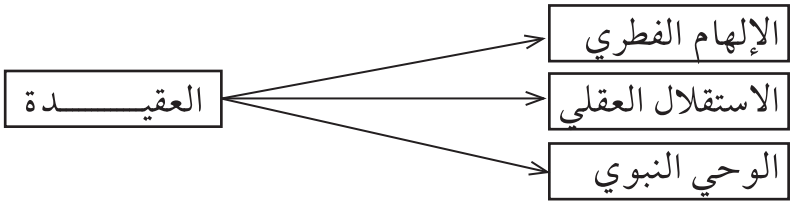

٢-٢-٣-٢. المعرفة، هي ظاهرة إدراكية تصل الإنسان حسيا وشعوريا بالمحيط الكوني الذي يوجد فيه، وتشترك في تحصيلها العناصر الأساسية الثلاثة التالية كما في الشكل أدناه:

شكل رقم (٢)

يوضح العناصر الأساسية للمعرفة

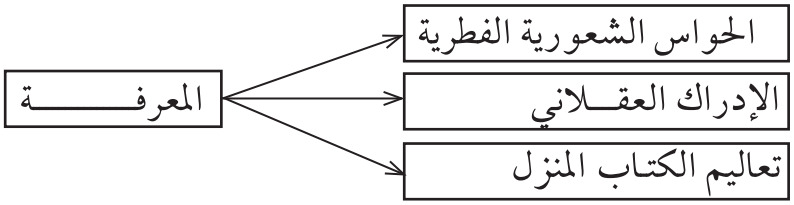

٢-٢-٣-٣. الأخلاق، هي ظاهرة سلوكية ـ نفسية، تصل الإنسان حسيا وعمليا بالمحيط الذي يوجد فيه، وتشترك في تحصيلها العناصر الأساسية التالية كما في الشكل أدناه.

شكل رقم (٣)

يوضح العناصر الأساسية للأخلاق

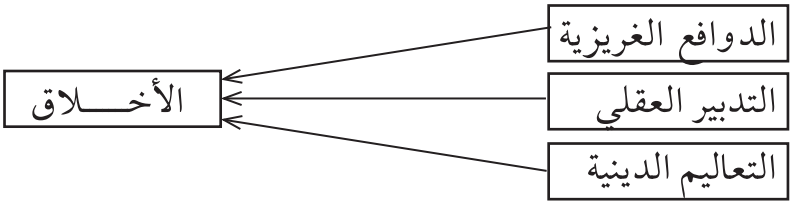

هذه المكونات العقيدية، وما يميزها من عناصر أساسية ترتبط ببعضها وتتفاعل فيما بينها كما في الشكل الجامع التالي :

شكل رقم (٤)

يوضح المنطلقات الأساسية للشخصية

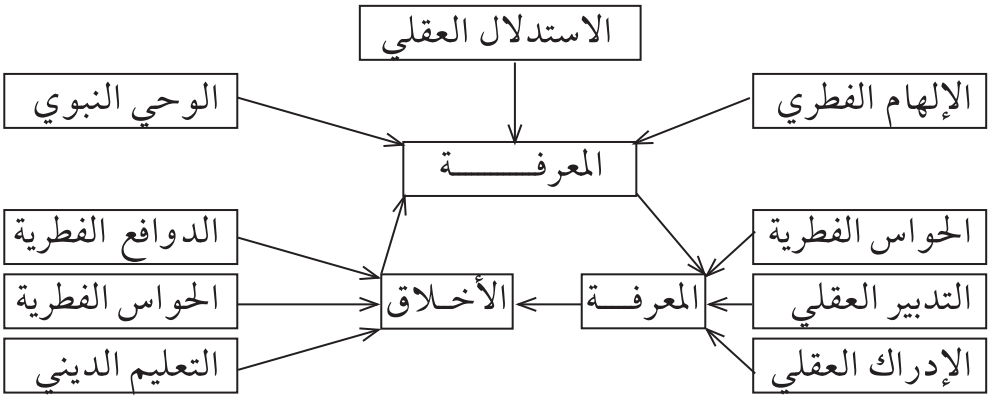

هذا الترابط العقدي هو في نفس الوقت نوعي وكيفي:

- فالعقيدة تشمل معطيات العلم والأخلاق وتتأثر بهما.
- والمعرفة تشمل ميداني العقيدة والأخلاق وتتأثر بهما.
- والأخلاق تشمل ميداني العقيدة والمعرفة.

فإذا اعتبرنا الإسلام كدين عملي يشمل الحياة الإنسانية في كل مظاهرها الذهنية والعملية، تتضح لنا المكونات في طابعها التطبيقي، وهي الإيمان، العلم، والعمل، وفي مجالاتها العملية ما يتضح في التفصيلات التالية: (الجسماني، ٢٠٠١: ١٧).

أ- الإيمان، هو عقيدة المسلم التي تحل في قلبه الضميري، والتي تصل بينه وبين الله وتشتمل تلك الصلة على مجالين:

- مجال ضميري، يتمثل في الإيمان بالله ووحدانيته، وبما أنزله في كتابه.
- مجال إلزامي وهو الإخلاص لله.

شكل رقم (٥)

يوضح مجالات الإيمان

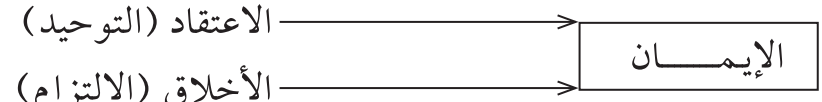

ب- العلم في مفهومه التطبيقي يجمع بين :

- العلوم الموضوعية، وهي معرفة الصلة بين الإنسان والخالق والكون في طابعها العملي والإبداعي والتجريبي.
- العلوم الدينية، وهي معرفة الصلة بين الإنسان والخالق وتجمع علوم الدين .العقيدية (التوحيد) والتشريعية (الفقه).

شكل رقم (٦)

يوضح مكونات التعلم

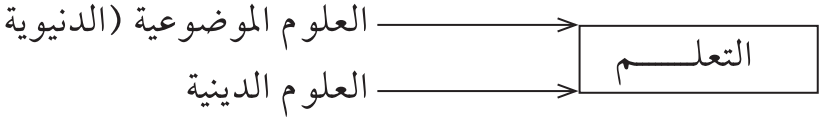

ج - العمل في مفهومه السلوكي يجمع بين ميدانين :

- المعاملات التي تصل الإنسان عمليا بالمحيط الطبيعي والبشري.
- العبادات التي تصل الإنسان عمليا بالخالق.

شكل رقم (٧)

يوضح ميادين العمل

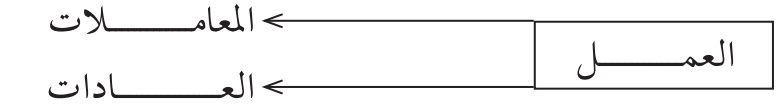

والروابط التي تجمع بين المكونات التطبيقية هي في الوقت نفسه نوعية وكيفية:

- الإيمان عقيدة والتزاما، لا ينفصل عن العلم ولا عن العمل كما تقره الآية التالية:

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

فالخشية هي نتيجة للعلم والعمل.

- العلم في مجالاته الدينية والدنيوية لا ينفصل عن الإيمان بالله، ولا عن الأخلاق التي توجه أهدافه، وتراقب سلوكه.
- العمل لا ينفصل عن الإيمان الذي يبين المقاصد، ولا عن العلم الذي يوضح السبل، ويثبت الحقائق المشهودة.

ويتبين ذلك الترابط في الشكل الجامع التالي :

شكل رقم (٨)

يوضح الروابط التي تجمع بين المكونات العقدية

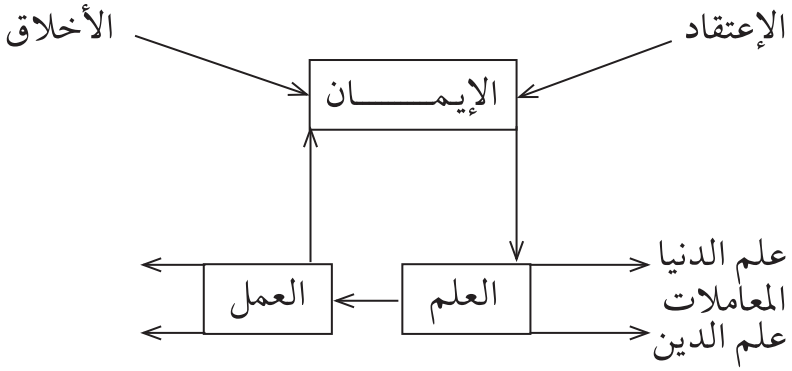

٢-٢-٤. التكامل بين الشخصية المسلمة والعلم والإيمان والعمل.

العلم والإيمان يلتقيان دون أن يناقض أحدهما الآخر، فالإيمان يعطي العلم أبعاده العقائدية والأخلاقية، والعلم يعطي الإيمان مادته المحسوسة وبرهانه الفعلي. والشخصية (المسلمة) التي تؤمن بالله وبما أنزله من علم الغيب تجد في العلم تأكيدا لإيمانها، وتصديقا لما بلغته من الكتاب وتوسيعا لإفادتها الروحية، لأنها تعتقد أن الله هو الخالق للكون ومقدر قوانينه ومدبر حركاته وتحولاته، وكلما ازداد علمها بتلك القوانين وتلك الحركات وذلك النظام يزداد إيمانها بالله، أما التي ترفض البعد الإيماني، فان علمها لا يتعدى حدود الظواهر: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

ومهما تعمقت في معرفة الدقائق من الجزئيات فإنها تجهل الجانب الأساسي من الوجود وهو الجانب الروحي الذي يربط بين المخلوقات والخالق. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

إن الإسلام مثلما يجمع بين الإيمان والعمل، كما نجده في الآية القرآنية المتكررة. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢].

وهناك مواضع أخرى في القرآن، تجمع بين الإيمان والعلم، ولكن خليق بالشخصية (المسلمة) أن تدرك، أن العلم المعزول عن الحياة وعن واقع الإنسان لا سبيل له، ثم إن القرآن الكريم كتاب لا يمكن عزله عن الحياة . (الجسماني، ٢٠٠١: ٢٤)

في هذا الجانب يقول الغزالي (.... هل نزل القرآن إلا ليخطِّئ أو يصوِب من أفكارنا ؟ وإلاّ ليمحو أو يثبت من أحوالها ؟ (الشخصية). إننا نريد إشاعة الثقافة الإسلامية المنبعثة من هذا الكتاب العزيز وتفقيه العامة والخاصة في روحه وشرائعه ومقاصده وآدابه ونريد أن تعرف الأمّة ، المنزلة السامية للوحي الإلهي الذي اختصت به ، الواجب الكبير الذي يفرضه عليها) . (الغزالي، ١٩٥٨: ٦)

لقد كشف القرآن الكريم عن بصر الشخصية ومكان يمكن أن يكون غطاء أو غشاء أو غشاوة، فبصرها أضحى بنور الهداية القرآنية مبصرا، ففي هذا الوجود سر وإعجاب، ذلك أن الحدث القرآني يدل على الانبثاق التاريخي لظاهرة جديدة (منذ القرن السابع الميلادي) استدعت نقل الفكر البشري من متاهات الظلام إلى ومضات الإشعاع الذي يستنير به العقل (أركون،١٩٩٥: ١٢)

يؤكد بعض المفسرين المحدثين مكانة العلم والعقل في الإسلام، وفي ذلك يقولون إنه إذا كانت الحركة العلمية هي ثمار النهضة في أوربا، وهي

أرفع ماتستدل به المدنية الغربية، فالإسلام من قبل شجع الحركة العلمية، ولقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم تفكير العقل على أنه أسمى أعمال النفس الإنسانية وأشرفها. والإسلام دين العلم والحكمة، والقرآن أعلى من شأن العلم. حيث قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

ويلاحظ أنه عز وجل بدأ بنفسه ثم بالملائكة وجعل أُولي العلم في المرتبة الثالثة ويدخل فيها الأنبياء والحكماء ومن دونهم من أهل الدرجات . (الشرقاوي، ١٩٨٠: ٢١٤).

والشخصية (المسلمة) تجد نفسها أمام جملة من المعطيات منها :

١ / إيمان صادق.

٢ / عقيدة راسخة.

٣ / سلوك أو استجابة سلوكية، تعكس حسن التصرف والقدوة المثلي.

٤ / الاطّلاع بواجبات إزاء نفسها، والحياة، والإنسانية كافة.

لذلك فإن الآيات القرآنية عندما تذكر الإيمان تعلّقه بالقلب، وتضيفه إلي ما يأخذ الصبغة العلمية الاعتقادية. (الميداني، ١٩٧٩ : ٩٢) .

كقوله تبارك وتعالى: ﴿... أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ....﴾ [المجادلة: ٢٢].

فالشخصية(المسلمة)، تعي سمو الإكرام الإلهي لها، وهي واعية ومدركة بأنها مأمورة بحكم عقيدتها السماوية، وقد قامت ثقافة الشخصية(المسلمة) على المعرفة والتي تقوم على أساس مطابقة الإدراك لما يحيط بالإنسان من مدركات والتي تكوّن جزءاً من آفاق هذا الوجود، وهذه

العوامل تجعل الشخصية (المسلمة) تزداد إيمانا بوحدانية الله ، وأن تفكير الشخصية المسلمة يحملها علي المعرفة المبنية على العقل الحسي . (الميداني، ١٩٨١: ١٢٣)

والشخصية (المسلمة) قد وعت ذلك وهداها تفكيرها فتسلحت بالإيمان وبمنطق العقل والعلم للإقناع بالتي هي أحسن . قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

والإيمان وتدرج المعرفة يتخذ سلّم أولويات تتراتب، بعضها يكون أساسا لبعضها الآخر كما في الشكل التالي:

شكل رقم (٩)

يوضح سلم أولويات الإيمان وتدرج المعرفة

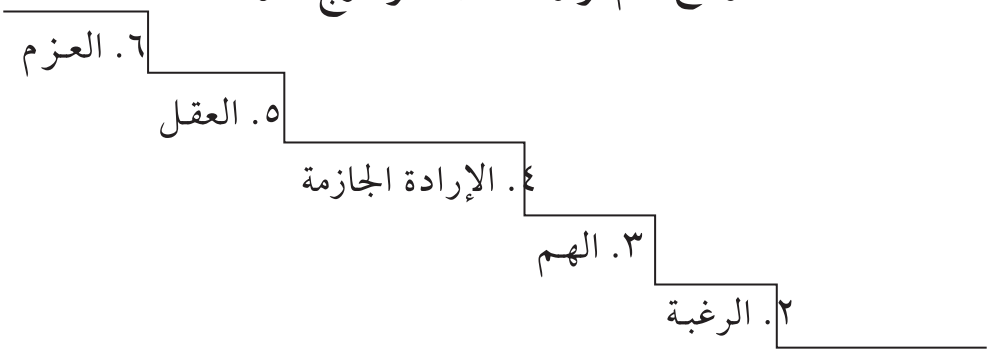

(الميداني، ١٩٧٩ : ١٠٨)

فقد وجدت الشخصية (المسلمة) نفسها أمام:

١/ تكليف اختصت به.

٢/ تحديات في الحياة جسام.

٣/ حمل راية القرآن الكريم.

٤/ غاية نبيلة يدعو إليها الدين، تتطلب الانطلاق حسب مداها في الزمان والمكان.

٥/ الإيمان بالقرآن الكريم معجزة إلهية علي مر الزمن.

فالشخصية (المسلمة) هي شخصية إنسانية من حيث عوامل تكوينها، ومن حيث عناصر التأثير فيها، وتأثرها بدورها بالمناخ الذي اكتنفها . بيد أنها وجدت لنفسها ما أيقظ فيها روح النشاط الذي أطّر أخلاقها ووجّه إلى الخير سلوكها.

ووجدت الشخصية (المسلمة) أن عليها وظائف لا بد من تأديتها، وأهم هذه الوظائف:

١/ وظيفة اعتقادية هي الإيمان بالله.

٢/ وظيفة روحية.

٣/ وظيفة إيمانية.

٤/ وظيفة سلوكية تتمثل في الجوانب النفسية والعقلية.

٥/ وظيفة أخلاقية تتمثل في شخصيتها، والتزامها بتأدية مهمتها في مجالات الحياة كافة (الشرقاوي، ١٩٨٥: ١٠٠)

والشخصية (المسلمة) آمنت، وتؤمن أن الحياة الدنيا تتطلب العمل المستمر لتأكيد الخير ودرء الشر، فهي تؤمن بأن الحياة الدنيا هذه وهي مدرسة عملية لتزكية النفس.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

والعلاقة بين الجانب الروحي والجانب المادي في النفس البشرية، لا

تعني تصادم قوانين فيها متناقضتين تبطل إحداهما الأخرى، إنما هي بقاء إيجابي بين قوتين مترابطتين متفاعلتين تنتج عن لقائهما حركة دافعة مبدعة متحررة لا تعتمد على الجانب المادي إلا لتنطلق في عالم الروح السامية، وذلك ما يعبر عنه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «اعْمَلْ لِدُنْيَاك بِقَدْرِ مَقَامك فِيهَا وَاعْمَلْ لآخِرَتِك بِقَدْرِ بَقَائِك فِيهَا وَاعْمَلْ لِلَّهِ بِقَدْرِ حَاجَتِك إلَيْهِ وَاعْمَلْ لِلنَّارِ بِقَدْرِ صَبْرِك عَلَيْهَا».

ويعبر هذا الحديث عن ازدواجية الإنسان المتكاملة من حيث هو كائن حي له مكانته وحقه ووظيفته في الأرض، ومن حيث هو كائن مفضّل ومكرّم بالأمانة الروحية. وتنسجم تلك الازدواجية في وحدة النظام الكوني، وفي وحدة العقيدة الدينية على امتداد المكان ومرور الزمان. خلق الله الإنسان من المادة المتغيرة والروح المتسامية، وجعل حياته في مرحلتين، حياة التكليف والابتلاء في الأرض، وحياة المحاسبة و الجزاء في الآخرة . (عروة، ١٩٧٥ : ١١٠)

قال تعالى : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].

٢-٢-. أنماط الشخصية في القرآن.

حاول المفكرون في عصور التاريخ المختلفة، كما حاول علماء النفس في العصر الحديث دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين شخصيات الناس، وقاموا بعدة محاولات لتصنيف الناس إلى عدة أنماط ، يتميز كل نمط بمجموعة من السمات المميزة ، فقد اتجه بعضهم إلى التصنيف على أساس التكوين الجسمي، واتجه بعضهم إلى تصنيف الناس إلى أنماط نفسية . (لازيروس ، ١٩٨١ : ٦٢)

وفي القرآن الكريم نجد تصنيفا على أساس العقيدة إلى ثلاثة أنماط هي:

- المؤمنون.
- الكافرون.
- المنافقون.

لكل نمط سماته التي تميزه ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأنماط الثلاثة في مواضع كثيرة ، مثلاً في سورة البقرة ذكر المؤمنين في أربع آيات (٢ - ٥) والكافرين في اثنتين (٦ - ٧)، والمنافقين في ثلاث عشرة آية (٨ - ٢٠)، وأشار إليهم أيضاً في سور أخرى، كما أفرد لكل منهم سورة سماها باسمهم هي سورة (المؤمنون) و(الكافرون) و(المنافقون) . (فارس ، د.ت : ٦١) .

وفيما يلي السمات التي يتميز بها كل نمط من هذه الأنماط الثلاثة كما جاء في القرآن . (نجاتي ١٩٩٣ : ٢٣٩ ـ ٢٤٦).

٢-٢-٥-١. المؤمنون .

ذكر المؤمنين في كثير من الآيات، ووصف سلوكهم في عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم ، وعلاقاتهم بالناس، وعلاقاتهم الأسرية، وفي حبهم لطلب المعرفة، وفي حياتهم العملية، وطلبهم للرزق ومن هذه السمات:

٢-٢-٥-١-١. سمات تتعلق بالعقيدة.

الإيمان بالله وبرسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والبعث والجنة والنار والغيب والقدر.

٢-٢-٥-١-٢. سمات تتعلق بالعبادات.

عبادة الله، وأداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وتقوى الله.

٢-٢-٥-١-٣. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية.

معاملة الناس بالحسنى، الكرم والإحسان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، العفو، الإيثار، الإعراض عن اللغو.

٢-٢-٥-١-٤. سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية .

الإحسان بالوالدين وبذي القربى، حسن المعاشرة بين الأزواج، رعاية الأسرة والإنفاق عليها .

٢-٢-٥-١-٥. سمات خلقية.

الصبر، الحلم ، الوفاء بعهد الله وعهد الناس ، التواضع ، القوة في الحق وفي سبيل الله ، قوة الإرادة التحكم في أهواء النفس وشهواتها .

٢-٢-٥-١-٦. سمات انفعالية و عاطفية.

حب الله ، الخوف من عذاب الله، الأمل في رحمة الله، حب الناس، وحب الخير لهم، كظم الغيظ والتحكم في انفعال الغضب، عدم الاعتداء علي الغير وعدم إيذائهم، عدم العجب بالنفس، لوم النفس والشعور بالندم في حالة ارتكاب ذنب ما .

٢-٢-٥-١-٧. سمات عقلية و معرفية.

التفكير في الكون وخلق الله، طلب العلم والمعرفة، عدم اتباع الظن وتحري الحقيقة ، حرية الفكر والعقيدة .

٢-٢-٥-١-٨. سمات تتعلق بالحياة المهنية و العملية.

الإخلاص في العمل وإتقانه، السعي بنشاط وجد في سبيل كسب

الرزق.

٢-٢-٥-١-٩. سمات بدنية (القوة، الصحة، النظافة، الطهارة).

إن صورة الإنسان المؤمن الذي ترسمه في أذهاننا مجموعة هذه السمات التي وردت في القران في وصف المؤمنين، إنما تكوِّن لنا نموذجا للإنسان المؤمن يجب أن نعمل على تحقيقه واقعياً في حياتنا، كما يجب أن نعمل على تنشئة أطفالنا عليها حتى تصبح سمات رئيسة في شخصياتهم و بهذه الطريقة وحدها يمكن تكوين المجتمع الإسلامي . (أحمد ، ٢٠٠٤)

ليست هذه السمات مستقلة بعضها عن بعض في شخصية المؤمن، بل إنها تتفاعل فيما بينها وتتكامل، وتشترك جميعها في توجيه سلوك المؤمن في جميع مجالاته، ولذلك يبدو سلوك المؤمن متناسقا سواء في علاقته مع ربه، أو في علاقته مع الناس، أو في علاقته مع نفسه.

ليس جميع المؤمنين في مستوى واحد من التقوى، ولكنهم يختلفون فيما بينهم في درجة تقواهم .وقد ذكر القرآن ثلاث درجات أو فئات للمؤمنين:

- الظالمين لأنفسهم.
- المقتصدين.
- السابقين في الخيرات.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

٢-٢-٥-٢. الكافرون .

أشار القرآن إلى الكافرين في كثير من الآيات، ووصفهم بسمات

رئيسة يتميزون بها. ويمكن تلخيص سمات الكافرين التي وردت في القرآن فيما يلي :

٢-٢-٥-٢-١. سمات تتعلق بالعقيدة.

عدم الإيمان بالتوحيد ، وبالرسل ، وباليوم الآخر ، وبالبعث ، والحساب.

٢-٢-٥-٢-. سمات تتعلق بالعبادات.

يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم.

٢-٢-٥-٢-٣. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية.

الظلم، عدوانيون في تصرفاتهم نحو المؤمنين، فهم يسخرون منهم ويعتدون عليهم، يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف.

٢-٢-٥-٢-٤. سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية.

يقطعون صلة الرحم .

٢-٢-٥-٢-. سمات خلقية.

نقض العهد، الفجور واتباع الهوى والشهوات، الغرور، التكبر.

٢-٢-٥-٢-٦. سمات انفعالية و عاطفية.

كراهيَتهم للمؤمنين وحقدهم عليهم، وحسدهم لهم على ما أنعم الله عليهم.

٢-٢-٥-٢-٧. سمات عقلية و معرفية.

جمود التفكير والعجز عن الفهم والتعقل، الختم والطبع علي قلوبهم، التقليد الأعمى لمعتقدات وتقاليد الآباء، خداع النفس.

إن الصورة التي يرسمها القرآن لشخصية الكافرين، هي أنهم أشخاص

تجمَد تفكيرهم وعجزوا عن إدراك حقيقة التوحيد التي يدعو إليها الإسلام، ولذلك وصفهم بقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

٢-٢-٥-٣. المنافقـون :

المنافقون هم فئة من الناس ضعاف الشخصية ومترددون، لم يستطعوا أن يتخذوا موقفا صريحا من الإيمان. وقد ذكر القرآن سماتهم المميزة لهم، وتوعدهم بأشد العذاب. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٥].

ويمكن تلخيص أهم سماتهم التي وردت في القرآن فيما يلي:

٢-٢-٥-٣-١. سمات تتعلق بالعقيدة.

إنهم لم يتخذوا موقفا محددا من عقيدة التوحيد، فهم يظهرون الإيمان إذا وجدوا بين المسلمين ويظهرون الشرك إذا وجدوا بين المشركين.

٢-٢-٥-٣-٢. سمات تتعلق بالعبادات.

يؤدون العبادات رياء وعن غير اقتناع، وإذا قاموا إلي الصلاة قاموا كسالي.

٢-٢-٥-٣-٣. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية.

يعملون على إثارة الفتن بين صفوف المسلمين ويستخدمون في ذلك الشائعات، يميلون إلى خداع الناس، يحسنون الكلام للتأثير على السامعين، يكثرون من الحلف لدفع الناس إلى تصديقهم، يحسنون الظهور بمظهر حسن في ملبسهم لجذب انتباه الناس والتأثير عليهم.

٢-٢-٥-٣-٤. سمات خلقية.

ضعف الثقة بالنفس، نقض العهد والنفعية والانتهازية، اتباع الأهواء.

٢-٢-٥-٣-٥. سمات انفعالية وعاطفية.

الخوف، فهم يخافون من المؤمنين والمشركين، والخوف من الموت مما يجعلهم يتخلفون عن القتال مع المسلمين، يكرهون المسلمين ويحقدون عليهم .

٢-٢-٥-٣-٦. سمات عقلية ومعرفية.

التردد والريبة وعدم القدرة على الحكم واتخاذ القرار، عدم القدرة علي التفكير السليم، يميلون إلى الدفاع عن أنفسهم بتبرير أفعالهم.

إن الصورة التي رسمها القرآن الكريم لشخصية المنافق صورة دقيقة وحيّة تنطبق بدقة على نمط معين من الناس يوجدون في جميع المجتمعات الإنسانية، ويمكن معرفتهم بوضوح بهذه السمات التي يتميزون بها .

٢-٢-٦. أنماط الشخصية في علم النفس الحديث:

تعود جذور الاهتمام بموضوع أنماط الشخصية ودراستها إلى المحاولات الأولى التي قام بها أبو قراط (٤٠٠ ق . م) Hippocrates ، والذي كان يرى أن الأمزجة Temperaments تعود إلى أربعة أنماط للشخصية هي:

- النمط الصفراوي Choleric Type.
- النمط السوداوي. Melancholic Type
- النمط البلغمي. Phlegmatic Type
- النمط الدموي. Sanguine Type

وقد حاول عن طريقها وضع تصنيف للشخصية الإنسانية، وفهم

طبيعة البشرية اعتمادا على تلك الأخلاط الأربعة المكونة للجسم البشري عبر رؤيا فلسفية تتمحور حولها مكونات الطبيعة وهي، الماء، والهواء، والتراب، والنار. (Krieford ، 2003)

تبعه فيما بعد كل من(Kretschemr، 1925)، و(Sheldon، 1940) (في محاولات لوضع أنماط الشخصية من خلال بنية الجسم، والمظهر الخارجي لجسم الفرد وعلاقته بالخصائص النفسية للفرد.

فضلاً عن ذلك فقد كان لدراسات برمان (Berman ، 1972) الأثر الواضح في محاولة فهم الشخصية الإنسانية، وذلك من خلال وضع أنماط الشخصية اعتمادا على الخريطة الهرمونية التي تحوي كم ونوع الإفرازات الهرمونية التي يشترك فيها بعض الأشخاص والتي تميزهم عن غيرهم، مما يفسح المجال أمام إمكانية تصنيف البشر إلي أنماط شخصية تستند إلى تلك الإفرازات الهرمونية وهي:

- النمط الدرقي.
- النمط الأدرناليني.
- النمط النخامي.
- النمط التيموسي.
- النمط الجنسي.

أما في مجال تنميط الشخصية Personality Typology على أسس نفسية فقد كان لسيجموند فرويد (Sigmond Freud)، و يونج (Jung)، و(ادلر Adler) و(كارين هورني K. Horney) مساهمة فاعلة في ذلك، فقد حدد فرويد ستة أنماط للشخصية تميز كل فئة من الأفراد عن غيرهم وهي:

- نمط الشخصية الشهواني.
- نمط الشخصية النرجسي.
- نمط الشخصية الوسواسي.
- نمط الشخصية الشهواني ـ الوسواسي.
- نمط الشخصية النرجسي ـ الوسواسي.
- نمط الشخصية النرجسي ـ الشهواني.

وفي تصنيف آخر ذكر فرويد أربعة أنماط للشخصية هي:

- نمط الشخصية الفمي. Oral Personality Type
- نمط الشخصية الشرجي. Anal Personality Type
- نمط الشخصية القضيبي. Phallic Personality Type
- نمط الشخصية الجنسي. Genital Personality Type

معتمدا في ذلك على عملية التثبيت (fixation) التي يتعرض لها الفرد أثناء مروره بإحدى تلك المراحل النمائية في مراحل سنية المبكرة .

أعطى فرويد مفهوماً جديداً للشخصية غير المفهوم الذي كان سائداً قبله، إذ اعتبر الشخصية مجموع ما لدى الكائن من السمات، أي مجموع حسابي نا تج عن عمليات حسابية مجردة .

فقال: « إن الشخصية عبارة عن تفاعل متبادل بين حاجات الفرد الداخلية (الغرائز) وبين العالم الخارجي (الموضوعات)».

لقد ركز فرويد على الغرائز واعتبرها الأساس الأول الذي بنى عليه نظريته، أما البيئة فحدد دورها في تكوين الشخصية، بل حصره في إمكانية إشباع الغرائز وتلبية حاجات الفرد أو إحباطها وفي رأي فرويد أن شخصية

الفرد وخصائصها وسماتها تتكون في الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل، ومهما يكتسب الفرد بعد ذلك من خبرات في مراحل حياته المختلفة، فإن شخصيته لا تتأثر كثيراً . (الشرقاوي، ١٩٨٤: ٤٧)

أما يونج (Jung) فقد طرح أنماطاً للشخصية مبنية على عاملي الانبساط والانطواء إذ قسم الأفراد إلى انطوائيين (Extroversion) وانبساطيين (Introversion) .

أما ادلر (Adler) فقد وضع أنماطا للشخصية عن طريق ما أسماه التسلسل الولادي (Birth Order) . إذ أن تسلسل الفرد في ترتيب العائلة من حيث موقعه ولاديا بين إخوته سيضفي على شخصيته طابعا معينا يشترك به مع أقرانه من التسلسل الولادي نفسه ، ويميزه في الوقت نفسه من الأصناف الأخرى . وقد قام بتحديد ثلاثة أنماط للشخصية بناء على ذلك وهي:

- نمط المولود الأول. (First Born Type)
- نمط المولود الثاني. (Second Type)
- نمط الأصغر. (Youngest Type)

وقدمت كارين هورني ثلاثة أنماط للشخصية، معتمدة في ذلك على علاقة الفرد بالمجتمع ، وتلك الأنماط الثلاثة هي:

- النمط المذعن. (Compliance Type)
- النمط المنعزل. (Type Withdrawal)
- النمط العدواني. (Aggressive Type)

وقد أولى الباحثون والدارسون لمواضعات علم النفس، أنماط الشخصية اهتماما كبيرا يأتي في مجمله من أهمية وتأثير نمط الشخصية الذي

يدور الفرد في فلكه في أشكال وتوجهات السلوك التي تصدر منه كافة، فضلاً عن الطريقة أو الكيفية التي تكون بها استجابة الفرد في مواقف الحياة المختلفة، الأمر الذي أدى إلى أن يركز الباحثون الكثير من اهتمامهم على معرفة نوع العلاقة التي تربط أنماط الشخصية والكثير من المتغيرات الأخرى، هادفين عن طريق ذلك إلى وضع دراسة تأخذ صفة الشمولية، وفي الوقت نفسه تكون مجدية وتكاملية وتوفر الجهد والعناء والموارد المادية المبذولة في فهم الظاهرة السلوكية التي تشكل جوهر أبحاث علم النفس.

من أبرز الأهداف النظرية والعملية التي تقف وراء عملية تنميط الشخصية هي:

١/ تخصيص مهمة الباحث في التعامل مع عدد محدد وواضح و مجمل من السمات والخصائص والميول والرغبات المحددة

٢/ مساعدة الباحث في تهيئة بعض الفرضيات العلمية الجديدة عن طريق تشخيص بعض العلاقات القائمة بين الخصائص النفسية والسمات المجتمعة في ذلك النمط من الشخصية والتغيرات الأخرى للظواهر السلوكية المدروسة.

٣/ تيسير مهمة الباحث في تحليل وتفسير بعض العلاقات القائمة بين الخصائص والسمات والصفات في إطار نظري تجريدي يقود إلى تعميمات نظرية مقبولة.

فضلاً عن ذلك فإنه (Hample) يشير إلى أنه قد يكون الهدف أحيانا، أن تقود هذه العمليات البحثية التطبيقية للأفراد إلى صياغة نظرية تفسيرية عامة، وهى هدف رئيس للمشتغلين في مجال علم النفس وتفسير السلوك .

أما (نورنج Noring) فيؤكد أن فوائد وأهمية وضع الأفراد في أنماط شخصية محددة وواضحة تكمن في جانبين:

الأول. يتعلق بمساعدة الأفراد في تحقيق فهم أفضل لأنفسهم، وكذلك لمساعدتهم في تحقيق نمو شخصي جيد لهم، فضلا عن بناء تقدير للذات لهم (Self -Esteem).

الثاني. ينحصر في تحقيق نوع من الكفاية والفاعلية عن طريق تفاعلهم مع الآخرين في البيئة المحيطة بهم التي لا تختص بأصدقائهم المقربين منهم فقط ولكن مع زملائهم أيضا.

مضيفا بأن عملية تنميط الشخصية هي ليست كما يراها البعض من أنها تلغي التنوع والتغاير والتباين بين الأفراد و لكنها تجعلنا نتعرف علي من هم ليسوا على شاكلتنا في مجموع الصفات والخصائص الكثيرة والمتنوعة التي نملكها ضمن النمط الذي ننتمي إليه، مما يساعدنا على فهمهم وتقديرهم وتقييمهم، وكذلك نحو أن نسلك السلوك الأمثل تجاههم، وهذا في حد ذاته سبب لوضع وتطوير المزيد من مخططات النمذجة أو التنميط للأفراد.

ويشير عبد الغفور (١٩٩٦) إلى أن تحليل الشخصية إلى سمات هو نوع من التجريد يفقدها قيمتها و يفكك الشخصية، ومن ثمَ تنتفي وحدتها التي يتميز بها الفرد، مضيفا بأن الشخصية ليست مجموعة من الصفات والاستعدادات المنعزلة القائمة بذاتها مصفوفة بجانب بعضها، بل هي بناء متكامل من السمات والخصائص والصفات تتفاعل مع بعضها، وتؤثر في بعضها البعض، فشدة الإنفعال تعطل التفكير، والتهور يفسد الحكم.

والسلوك يتأثر بنمط الشخصية أكثر من تأثره بالنوع أو الجنس أو أي

سمة، أو بعد نفسي آخر لوحده، وإحدى فوائد دراسة أنماط الشخصية، هو مساعدة الناس في تعرف خصائصهم الشخصية، الأمر الذي يؤدي بهم إلى فهم أحسن لذواتهم ومعرفة مكامن الضعف والقوة فيها، وخير مثال لذلك العلاقات التي تسود بيئة العمل الإنتاجية والتي تؤدي إلى قيام علاقات طيبة بين العاملين المتشابهين في نمط الشخصية، الأمر الذي يفضي إلى نوع من الرضا الوظيفي.

وتبرز أهمية دراسة أنماط الشخصية والفائدة المرجوة منها في مجالات عديدة أهمها: (www.Bafree.net.com).

- التوجيه المهني أو الوظيفي.
- طبيعة الوظائف المناسبة لكل فرد.
- إدارة الموظفين.
- فهم العلاقات الشخصية للأفراد.
- في التعليم ووسائل تطوير طرائق التدريس التي تناسب مختلف أنماط الشخصية.
- عملية الإرشاد والتوجيه.

٢-٢-٧. مكونات الشخصية لدي فرويد مقارنة مع النظرة الإسلامية.

بعد نزول القرآن بنحو أربعة عشر قرنا من الزمان، جاء فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي بنظرية ميَز فيها ثلاثة أقسام للنفس، يبدو في بعض وظائفها بعض أوجه الشبه بمفاهيم النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة، الواردة في القرآن الكريم، غير أنه توجد في الحقيقة اختلافات كبيرة بين هذه المفاهيم الثلاثة للنفس في القرآن، وبين أقسام النفس الثلاثة

في نظرية فرويد. (فرويد، ١٩٨٣ : ٣٣)

ذهب فرويد إلى أن النفس ثلاثة أقسام هي: (فرويد، ١٩٨٢ : ١٤)

أ / **الهو** .ID

في رأي فرويد هو ذلك الجزء من النفس الذي يحوي الغرائز التي تنبعث من البدن، ويهدف دائما إلى الإشباع (مبدأ اللذة) في غير مراعاة للمنطق أو الأخلاق أو الواقع . وهو بهذا المعنى يبدو أنه أشبه بمفهوم النفس الأمارة بالسوء.

ب/ **الأنا الأعلى**. SUPER EGO

هو ذلك الجزء من النفس الذي يتكون من التعاليم التي يتلقاها الفرد من والديه ومعلميه ومن قيمه الثقافية التي ينشأ فيها وتصبح قوة نفسية داخلية تحاسب الفرد وتراقبه، وتهدده بالعقاب، وهو ما يعرف بالضمير، ويرى فرويد أنّ الأنا الأعلى يمثل ما هو سام في الطبيعة الإنسانية وهو بهذا المعني يبدو أنه أشبه بمفهوم النفس اللوامة.

ج/ **الأنا**. EGO

هو ذلك الجزء الذي يقبض على زمام الرغبات الغريزية المنبعثة من الهو، ويسيطر عليها فيسمح بإشباع ما يشاء منها، ويؤجل ما يرى ضرورة تأجيله، ويكبت ما يرى ضرورة كبته، مراعيا في ذلك مبدأ الواقع أو العالم الخارجي بما يتضمنه ذلك من قوانين وقيم وأخلاق وتعاليم دينية.

يقوم الأنا في رأي فرويد في التوفيق بين الهو والعالم الخارجي والأنا الأعلى، ويحد من تطرف الأنا الأعلى بحيث يجعله لا يسرف في النقد والتهديد بالعقاب بدون مبرر. فإذا نجح الأنا في وظيفته التوفيقية أمكن أن

يتحقق للإنسان الاتزان والسّواء والصِّحَّة النفسية ، وعلى ذلك يبدو وجه شبه بين نجاح الأنا وما يحققه للإنسان من اتزان وسعادة، وبين حالة النفس المطمئنة التي يصل إليها الإنسان بالتغلب على أهوائه، ويتحقق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية، مراعيا في ذلك مبدأ الواقع الذي يفرضه نظام الحياة في المجتمع المسلم من القيام بالعبادات المفروضة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل الصالح، وإشباع قواعد الأخلاق الإسلامية.

في الحقيقة يوجد اختلاف كبير بين هذه المفاهيم الثلاثة للنفس كما وردت في القرآن وبين أقسام النفس الثلاثة في نظرية فرويد. فالنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة الواردة في القرآن، حالات مختلفة تتصف بها النفس أثناء صراعها الداخلي بين الجانب المادي، والجانب الروحي في شخصية الإنسان.

أما مفاهيم الهو والأنا والأنا الأعلى في نظرية فرويد فهي أقسام مختلفة للنفس، كما أنها تتكون في مراحل مختلفة من نمو الطفل ، فالهو هو، نفس عقب ميلاده مباشرة، إذ يكون واقعا تحت تأثير مطالبه الغريزية، ثم تحت تأثير العالم الخارجي يبدأ يتكون من الهو جزء منفصل عنه هو الأنا، وهو الذي يقوم بالتحكم في الغرائز المنبعثة من الهو مراعيا مقتضيات الواقع والعالم الخارجي، ومن التعاليم والنواحي التي يتلقاها الطفل من والديه والثقافة التي نشأ فيها يتكون الأنا الأعلى وهو الضمير الذي يحاسبه ويلومه ويؤنبه على ما يقوم به من أخطاء.

يقوم بين هذه الأقسام الثلاثة صراع يحاول فيه الأنا أن يوفق بين متطلبات الهو والأنا الأعلى والعالم الخارجي، فإذا نجح في ذلك كان الإنسان

سويا ومتمتعا بالصحة النفسية.

وبينما يقع الصراع النفسي في نظرية فرويد بين أقسام النفس الثلاثة، فإنه يقع، وفقا لتصوير القرآن لطبيعة التكوين بين الجانب المادي والجانب الروحي من شخصية الإنسان. وتنشأ تبعا لنتيجة الصراع حالات النفس الثلاث: النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة. (نجاتي، ١٩٩٣: ٢٣٤)

الشخصيّة السويِّة.

إن الشخصية السوية في الإسلام هي تلك الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح، وتشبع فيها حاجاتهما في الحدود التي رسمها الشرع ، وهي التي تعنى بالبدن وصحته وقوتّه، والتي تتمسك في نفس الوقت بالإيمان بالله ، وتؤدي العبادات وتقوم بكل ما يرضي الله تعالي، وتتجنب كل ما يغضبه، فالشخص الذي ينقاد وراء أهوائه وشهواته شخص غير سوي.

كذلك الشخص الذي يكبت حاجاته البدنية ويقهر جسمه ويضعفه بالرهبانية والتقشف الشديد، وينزع إلى إشباع حاجاته وأشواقه الروحية فقط، هو شخص غير سوي. وذلك لأن كلا الاتجاهين يخالف الطبيعة الإنسانية ويعارض فطرتها، ولذلك لا يمكن أن يؤدي أي من هذين الاتجاهين إلى تحقيق ذاتية الإنسان الحقيقية، كما لا يمكن أن يؤدي بها إلى بلوغ كمالها الحقيقي (نجاتي، ١٩٩٣: ٢٣٦).

لم يتفق علماء النفس على نموذج معين من الشخصيات السليمة، بل ذهب البعض منهم إلى القول بأنه لا توجد شخصية سوية بالمعني الحرفي للكلمة. ففي كل نفس جوانب مريضة، والشخصية السوية هي الشخصية

المؤمنة حقا، أي قولا وفعلا والتزاما، وما عدا ذلك يمكن موافقة علماء النفس بأنه لا توجد شخصية سوية.

ولقد حدد القرآن معالم الشخصية السوية في عشرات الآيات متفرقة ومجتمعة يمكن الإشارة إلى ذلك في سورة الفرقان في بعض آياتها كنموذج للشخصية السوية السليمة وهي:

- الشخصية السوية هي عباد الرحمن الذين لا يتكبرون، ولكن يخاطبون الناس على قدر عقولهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ الآية (٦٣).
- الشخصية السوية هي الشخصية المؤمنة وهذه بعض صفاتها: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ الآيات (٦٤، ٦٥).
- الشخصية هي الوسط بين الإسراف والإقتار في الإنفاق. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ ألآية (٦٧).
- الشخصية السوية هي القانتة التي لا تعبد إلا إلها واحدا وما أكثر الآلهة التي يعبدها الناس، فالنساء والبنون والمال والشهوات والطاغوت، هي آلهة أكثر الناس قديما وحديثا وليست أصنام الجاهلية فقط. ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ الآية (٦٨).
- الشخصية السوية هي الصادقة التي لا تكذب ولا ترتكب المعاصي التي حرمها المولي. ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ الآية (٧٢).
- الشخصية السوية هي العاقلة العالمة، تتدبر آيات الله وأحكامه فتفهمها

فهما سويا نيرا علميا، وليست تلك الشخصية المتعصبة التي تفهم وتطبق أحكام الله من خلال جهلها وتعصبها الأعمى. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ الآية (٧٣).

عَنْ عَبْد اللهَّ بْن أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ جُبَيْر بْن مُطْعِم مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَصَبِيَّةً وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ» (رَوَاهُ أَبُو دَاوُد).

- الشخصية السوية هي الرحيمة التي تشفق على أفراد عائلتها، فتعمل على أن تؤمن السكينة للزوجة والأولاد، فالعائلة هي نواة المجتمع، وبصلاحها تصلح المجتمعات. ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الآية (٧٤).
- الشخصية السوية هي الأوابة التي لا تتشبث بأخطائها وذنوبها إذا ضعفت أمام إلحاح النفس الأمارة بالسوء، بل ترجع إلي الله و تستغفره. ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ • وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٤-١٣٥].

وبقدر ما تقترب النفس الإنسانية من هذه الصفات وتعمل من خلال مضمونها، تقترب من صفة الشخصية السليمة السوية أي المؤمنة، وبقدر ما تبتعد عن هذه الصفات قولا وفعلا، تصبح شخصية مريضة. (الشريف، ١٩٩٢: ١١٠)

وتختصر صفات الشخصية السوية في الآية الجامعة الآتية:

- ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٢-٢-٨. التَّوازن في الشَّخصيَّة.

تتوازن شخصية الإنسان في حالة استقرار النفس المستنيرة فيها، وهي النفس البصيرة التي تتضح في فهم الإنسان نفسه طبيعته الإنسانية السلوكية. وفهم ما في ذاته من خير أو شر، وتقبل المثل الأخلاقية والدينية العليا، وتتحكم في نمو السلوك السوي للإنسان في ضوء بعدين. (عبد العزيز، ١٩٩٧ : ٢٢).

أ/ البعد الرأسي، والذي يحدد علاقة الإنسان بربه.

ب / البعد الأفقي، والذي يحدد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

والعقيدة الإسلامية تحقق للشخصية التوازن النفسي الأمثل، والإسلام يتوخى في كل فعل التعبير الأمثل عن التوازن النفسي بين حاجات النفس الروحية ورغباته الجسدية. فتكون النتيجة لهذا المزج الواقعي بين متطلبات الإيمان والعقيدة والقيم وبين سلوك الإنسان العملي في واقع الحياة ، وبذلك نجح الإسلام في صهر الدين في الدنيا، وأفلح في خلق الفرد الذي يحمل في أعماقه بذرة المجتمع ، واتحاد وتكامل الشخصية الإنسانية بإحداث التوازن بين ملكات الإنسان الروحية والمعنوية ووظائفه الجسدية والغريزية. (قاسم، ١٩٨٠: ٢٥)

والقرآن أوصى ووجه بأن يحافظ الإنسان على صحته الجسمية والنفسية ليكون معافى، وبهذا السياق يتطور الإنسان والبشرية جمعاء وترتقي

الحضارة، وهذا هو التصور الإسلامي لرقي الإنسان، لأن المصدر الذي أنشأ هذا التصور هو نفسه المصدر الذي خلق الإنسان، وهو الخالق المدبر الذي يعلم طبيعة الإنسان، وحاجات حياته المتطورة على مدى الأزمان، وهو الذي جعل في هذا التصور من الخصائص ما يلي هذه الحاجات المتطورة في داخل هذا الإطار. (قطب،١٩٨٢: ٤٠).

لكل من البدن والروح حاجات تتطلب الإشباع، والحل الأمثل لهذا الصراع بين الجانبين البدني والروحي في الإنسان هو التوفيق بينهما، بحيث يقوم الإنسان بإشباع حاجاته البدنية في الحدود التي أباحها الشرع، ويقوم في نفس الوقت بإشباع حاجاته الروحية.

مثل هذا التوفيق بين حاجات البدن وحاجات الروح يصبح أمرا ممكنا إذا ما التزم الإنسان في حياته التوسط والاعتدال، وتجنب الإسراف والتطرف سواء في إشباع دوافعه الروحية أو البدنية. فليس في الإسلام رهبانية تقاوم إشباع الدوافع البدنية وتعمل على كبتها، كما ليس في الإسلام إباحية تعمل على الإشباع التام للدوافع البدنية، وإنما ينادي الإسلام بالتوفيق بين دوافع كل من البدن والروح، واتباع طريق وسط يحقق التوازن بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان، ويشير القرآن إلى ضرورة تحقيق التوازن في الشخصية. (مغنية، ١٩٧٧: ١٩٥)

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وفي هذا المعنى قال الرسول عليه الصلاة والسلام : «لَيْسَ خَيْرُكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ وَلَا الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا، وَلَكِنَّ خَيْرَكُمْ مَنْ أَخَذ مِنْ هَذِهِ

وَهَذِهِ».

وحينما يتحقق هذا التوازن بين البدن والروح، تتحقق ذاتية الإنسان في صورتها الحقيقية الكاملة والتي تمثلت في شخصية النبي صلوات الله وسلامه عليه الذي توازنت فيه القوة الروحية الشفافة، والحيوية الجسمية الفياضة، فكان يعبد ربه حق عبادته في صفاء وخشوع كاملين، كما كان يعيش حياته البشرية كغيره من البشر يشبع حاجاته البدنية في الحدود التي رسمها الشرع، ولذلك فهو يمثل الإنسان الكامل، والشخصية الإنسانية النموذجية الكاملة التي توازنت فيها جميع القوى الإنسانية البدنية والروحية.

والتوازن في الشخصية الإنسانية بين البدن والروح ليس إلا مثالا للتوازن الموجود في الكون كله. فقد خلق الله تعالي كل شئ بمقدار وميزان. والاتزان الحيوي في البدن، ووظيفة الدوافع الفطرية في بقاء البدن في حالة ثابتة من الاتزان وهو أمر ضروري لحفظ الذات والبقاء. غير أن الاتزان ليس قاصرا على اتزانه البيولوجي فقط، وإنما يشمل أيضا شخصيته بأكملها، إنه يشمل كذلك التوازن بين البدن والروح . (نجاتي ، ١٩٩٣: ٢٣٦)

٢-٢-٩. إلى أين تتجه الشخصية؟

لقد أخذت منا العولمة ما كنا نملكه من عادات وتقاليد تعاقبت إلينا بالتقليد والمحاكاة، وتسبب الانفتاح والتمدن في نسياننا لمهمتنا نحو ديننا، بل وصل الأمر إلى أننا أصبحنا نسأل عن عقيدتنا، وهو الأمر الذي لا يجب أن نسأل عنه لإيماننا الفطري به ، ولا نقبل أي نقاش في شرائعنا وتقبلنا لها، لأنها مغروسة فينا بالفطرة، الأمر الذي أذاب الشخصية الإسلامية في أكثر نفوس أهل الإسلام، بل وجعلها تنساق خلف المغريات والشهوات الدنيوية، وحدّ

من طموحاتها وأمنياتها التي قد ترقى بصاحبها إلى مبلغ مناه، وغاية مطلبه، في خدمة دينه ووطنه وأمَّته بكل جد وإخلاص، ولا غرابة في ذلك متى ما ضاعت الأوقات فيما لا ينفع، وأهدرت الطاقات بارتكاب المعاصي واتباع الهوى والوصول بالطموحات لكل ما هو دون، ومحاولة الفوز بكل ما هو دنيوي لا ينفع في الحياة الدنيا ولا الآخرة.

عندما نسال قائلين:

- إلى أين تتجه الشخصية المسلمة وهي التي تأخذ أحكامها من الكتاب والسنة؟.
- ماذا تدرك عن أهميتها وهي من أوائل الأشياء التي يجب المحافظة عليها لأجل تلك الأهمية؟.
- كيف هي في مواجهة النوازل المؤثرة والمتتالية؟.
- هل هي مطمئنة لما تقدمه لدينها وأمتها وأوطانها أم لا؟.

أسئلة كثيرة توجه لهذه الشخصية (الإسلامية) التي أذابتها الحداثة، وغاصت في بحور العولمة، وتاهت في دوّامة الانفتاح والتمدن.

لا يعني ذلك محاربة الحضارة النافعة والتقدم التي توافق جميعها الشّرع، وتتجه إلى كل ما هو سليم حسب منظار الشريعة لها، بل يعني ذلك دعوة الشخصية (المسلمة) أن توسع مداركها، وتكثر من مصادرها فيما يخص التجديد ومسايرة العصر والناس، والحذر من الانزلاق الذي يؤدي إلى تهميش الشخصية (المسلمة) ويسعى إلى تحجيمها، ولكي يتم الوصول بالشخصية(المسلمة) إلى بر الأمان، وحمايتها من السقوط في الهاوية، هناك بعض الصور التي يجب أن يؤخذ بها وتعمل على إقامتها تلك الشخصية،

علّها تعي مقدار أهميتها، وتدرك ما هو مطلوب منها خاصة في زمن أثقلت كاهله المصائب، ولعبت في ميادينه الفتن وهي:

١ / **الإيمان**:

حق للشخصية (المسلمة) أن تعود إلى الإيمان الحقيقي الذي لا تشوبه أي شائبة، ولا يلوثه أي دخَنْ، مخلصة بذلك وجه الله تعالى ومتيقنة بذلك بأنه ماهية المسلم وعنوانه .

٢ / **طلب العلم**:

أوّله العلم الشرعي المرصود في آيات الله سبحانه وتعالي وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم، ثمّ تأتي بعده أنواع العلوم الأخرى التي تفيد الإنسان(المسلم) وتثري حياته العلمية والعملية وتزيد من ثقافته واطلاعا ته والسعي بها لخدمة الدين وأهله.

٣/ **العمل**:

المقصود به العمل الذي يوافق العلم، إذ لا عمل دون علم إلاّ أن يكون عملا غير منظم لا أساس له، ولا قيمة، كعمل أولئك العابثين في حياتهم، غير مدركين لأهمية نشاطاتهم متى ما كانت في طرق الخير والصلاح التي توافق العلم المحمود.

٤ / **مجموعة الإنسان الأخلاقية**:

تمثل القيم الأخلاقية التي تميز كل شخص عن الآخر، ومن خلالها يعبر الإنسان عن نفسه مباشرة دون أي ترجمات أو إيضاحات زائفة أو خادعة، وأخلاق الشخص مع نفسه ثم مع الآخرين تعتبر عاملا مهما في تحديد الشخصية (الإسلامية) والتي تسعى من خلال تلك الأخلاق الحميدة

أن توضح صورة الإسلام الصحيح لمن لا يعرف عنه شيئا خاصة وأنه دين الأخلاق والسمو والسماحة، إلى غير ذلك من الصور المهمة، والتي تفرض على كل إنسان مسلم يحملها، الميل مع الحق والخير، وتجبره على احترام دينه وقواعده الشرعية وأمته وأوطانه، وتعينه على إظهار صورة الإسلام البيضاء الناصعة لكل من يحمل الحقد والكراهية لهذا الدين وأهله، في عهد كثر فيه أعداء الأمة، وانتشرت مخططاتهم لهدم هذه الشخصية الإسلامية المعطاءة . (www.Bafree.Documents&Setting. com).

خاتمة الدراسة

من خلال سرد الأدب النفسي للشخصية من منظور القرآن، وعلم النفس الحديث، نجد أن الشخصية (المسلمة) تأخذ بما يقرره القرآن العظيم من ضروب الهداية، وبناء العقائد على ما في القرآن والسنة، والأخذ بالبراهين العقلية وبناء الأحكام الأدبية والعلمية على قواعد المصالح والمنافع ودفع الأذى والمضار، والإيمان بأن للكون سننا مضطردة تجري عليها عوامله العاقلة وغير العاقلة، والحث على النظر في الأكوان للعلم والمعرفة بما فيها من الحكم والأسرار التي يرتقي بها العقل وتتسع بها أبواب المنافع للإنسان .

كل ذلك ما تضمنه القرآن الكريم وامتاز به. وفي هذا كله: تكميل لأصول الدين الثلاثة التي بُعث بها كل نبي مرسل وجعل بناءها رصينا مناسبا لارتقاء الإنسان، أما تلك الأصول فهي:

- الاعتقاد الصحيح ولو بالتسليم.
- عبادة الله تعال.

• حسن المعاملة مع الناس، فهي التي لا خلاف فيها.

عليه تتمثل نتائج الدراسة في الآتي:

أ. علم النفس الحديث، ينظر إلى النفس من منظور المكون البيولوجي، والجوانب التربوية المكتسبة، والتي تؤثر سلبا في مكونات شخصية الفرد حيث يكون واقعا تحت مطالبه الغرائزية، وفي هذا ضياع في الدنيا وهلاك في الآخرة. فالعوامل المكونة للشخصية من وجهة نظر علماء النفس المحدثين يمكن تصنيفها إلى:عوامل وراثية ، وهي عوامل منبعثة من الفرد ذاته، وعوامل بيئية، وهي عوامل منبعثة من البيئة الخارجية، الاجتماعية والثقافية. وعلماء النفس يقصرون اهتمامهم على دراسة العوامل الجسمية، البيولوجية فقط متناسين أو مغفلين الجانب الروحي من الإنسان، وذلك تمشيا مع أسلوبهم في البحث العلمي الذي يقتصر علي دراسة ما يمكن ملاحظته وإخضاعه للبحث في المختبرات العلمية.

ب. غير أن الشخصية (المسلمة) تأخذ بما يقرره القرآن العظيم من ضروب الهداية، وبناء العقائد على ما في القرآن والسنة، والأخذ بالبراهين العقلية وبناء الأحكام الأدبية والعلمية على قواعد المصالح والمنافع ودفع الأذى والمضار، والإيمان بأن للكون سنناً مضطردة تجري عليها عوامله العاقلة وغير العاقلة، كما تنطلق من توحيد الله وحده، ويعتزز هذا التوحيد من منطلقات أساسية أهمها: العقيدة الإيمانية، والعلم والمعرفة، والأخلاق والسلوك. والإيمان عقيدة والتزاما، لا ينفصل عن العلم ولا عن العمل كما تقره الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

هكذا تتكامل المكونات المادية والعقديّة للشخصية الإنسانية لتحدد علاقتها بكل ما يحدق بها في هذا الكون، وتعيش في كنف خصائص التّصوُّر الإسلامي، وهو تصوُّر ربَّاني جاء من عند الله بكل خصائصه، وبكل مقوماته، وذلك لتتكيف به الشخصية المسلمة بخاصة، والإنسانية كلها بعامة، وليتم تطبيق مقتضياته في الحياة البشرية جمعاء.

ج. بعد نزول القرآن الكريم بنحو أربعة عشر قرنا من الزمان، جاء سيجموند فرويد - أحد رواد علم النفس الحديث - مؤسس مدرسة التحليل النفسي بنظرية ميَز فيها بين ثلاثة أقسام للنفس، يبدو في بعض وظائفها بعض أوجه الشبه بمفاهيم النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة، الواردة في القرآن الكريم.

غير أنه توجد في الحقيقة اختلافات كبيرة بين هذه المفاهيم الثلاثة للنفس في القرآن، وبين أقسام النفس الثلاثة في نظرية فرويد.

فالنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة الواردة في القرآن، حالات مختلفة تتصف بها النفس أثناء صراعها الداخلي بين الجانب المادي، والجانب الروحي في شخصية الإنسان.

أما مفاهيم الهو والأنا والأنا الأعلى في نظرية فرويد فهي أقسام مختلفة للنفس، كما أنها تتكون في مراحل مختلفة من نمو الطفل، والشخصية السوية في الإسلام هي تلك الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح، وتشبع فيها حاجاتهما في الحدود التي رسمها الشرع، وهي التي تعنى

بالبدن وصحته وقوتّه، والتي تتمسك في نفس الوقت بالإيمان بالله، وتؤدي العبادات، وتقوم بكل ما يرضي الله تعالى، وتتجنب كل ما يغضبه . وتختصر صفات الشخصية السوية في الآية الجامعة الآتية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٣٥].

د. حاول علماء النفس في العصر الحديث دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين شخصيات الناس، وقاموا بتصنيف الناس إلى أنماط، يتميز كل نمط بمجموعة من السمات، فقد اتجه بعضهم إلى تصنيف الشخصية إلى سمات، واتجه بعضهم إلى تصنيف الناس إلى أنماط نفسية، وفهم طبيعة البشرية اعتمادا على تلك الأنماط، وبعضهم إلى أنماط جسدية، من خلال بنية الجسم والمظهر الخارجي له، عبر رؤيا فلسفية تتمحور حولها مكونات الطبيعة وهي، الماء، والهواء، والتراب، والنار. وبعضهم وضع أنماط الشخصية اعتمادا على الخريطة الهرمونية التي تحوي كم ونوع الإفرازات الهرمونية التي يشترك فيها بعض الأشخاص والتي تميزهم عن غيرهم، مما يفسح المجال أمام إمكانية تصنيف البشر إلى أنماط شخصية تستند إلي تلك الإفرازات الهرمونية

هـ. القرآن الكريم يشير إلى أن تصنيف الشخصية إلى سمات هو نوع من التجريد يفقدها قيمتها ويفكك الشخصية، ومن ثمَ تنتفي وحدتها التي يتميز بها الفرد، مضيفا بأن الشخصية ليست مجموعة من الصفات

والاستعدادات المنعزلة القائمة بذاتها مصفوفة بجانب بعضها، بل هي بناء متكامل من السمات والخصائص والصفات تتفاعل مع بعضها، وتؤثر في بعضها البعض فشدة الانفعال تعطل التفكير، والتهور يفسد الحكم، وفي القرآن الكريم نجد تصنيفا على أساس العقيدة إلى ثلاثة أنماط هي: المؤمنون ، الكافرون ،المنافقون ، ولكل نمط سماته التي تميزه . وقد أشار القران الكريم إلى هذه الأنماط الثلاثة في مواضع كثيرة ، مثلا في سورة البقرة ذكر المؤمنين في أربع آيات (٢ – ٥) والكافرين في اثنتين (٦ – ٧) ، والمنافقين في ثلاث عشرة آية (٨ – ٢٠) ، وأشار إليهم أيضا في سور أخرى، كما أفرد لكل منهم سورة سماها باسمهم هي سورة (المؤمنون) و(الكافرون) و (المنافقون) .

و. توجد فروق في مكونات الشخصية بين القرآن، وما جاء به علماء النفس المحدثون، حيث أن هنالك تمايزا واضحا في مكونات الشخصية، لصالح ما وصف به القرآن الشخصية، من حيث المكون العقدي، والسلوكي. في ضوء هذه النتائج يمكن أن نقول أن القرآن قد وصف الشخصية وصفا مميزا أبعدها عن الاتجاه المادي الذي نادى به علم النفس الحديث، حيث مزج القرآن بين مطالب الجسد، ومطالب الروح في مكونات الشخصية، الأمر الذي يجعلها شخصية متوازنة ومعتدلة .

المصادر والمراجع

المصـــــادر:

- القرآن الكريـــم .
- الأحاديث الشريفة (صحيح البخاري) .

المـــراجع:

١. أباظة ،أمال عبد السميع (١٩٩٩) الصحة النفسية ، مكتبة الأنجلو ،القاهرة .

٢. أحمد ، فاطمة إبراهيم (٢٠٠٤) دور الأسرة في تنشئة الأطفال ، في ضوء السنة النبوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الجزيرة .

٣. أسد، محمد(١٩٧٥) الإسلام في مفترق الطرق (ترجمة) محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة

٤. أركـــون ، محمد (١٩٩٥) الإسلام ، أوربا ، الغرب (ترجمة) هاشم صالح، دار الساقي ، بيروت .

٥. البادي ، محاسن محمد احمد (٢٠٠٤) أثر التربية الروحية في تكوين شخصية تلميذ مرحلة الأساس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة .

٦. الجسماني ، عبد العلي (٢٠٠١) القران و علم النفس ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ، القاهرة

٧. الشرقاوي ، حسن محمد (١٩٨٤) نحو علم نفس إسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

٨. الشرقاوي، عفت (١٩٨٠) قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، ط ٢ ، دار النهضة العربية، بيروت.
٩. الشريف ، عدنان (١٩٩٢) من علم النفس القرآني ، دار العلم للملايين، بيروت .
١٠. الغزالي ، محمد (١٩٥٨) نظرات في القران ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة .
١١. الميداني ، عبد الرحمن حسن حنبكة (١٩٨١) ضوابط المعرفة ، دار العلم ، بيروت .
١٢. ـــــ (١٩٧٩) الأخلاق الإسلامية وأسسها ، دار القلم ، بيروت.
١٣. المهدي ، سمية خليفة محمد (٢٠٠٢) علاقة السلوك الديني بالتوافق النفسي والاجتماعي، لدي طلاب المستوي الجامعي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الحصاحيصا، جامعة الجزيرة .
١٤. زهران ،حامد عبد السلام (١٩٩٧) الصحة النفسية والعلاج النفسي ، ط٣ عالم الكتب ، القاهرة .
١٥. حسن ، أماني صلاح (٢٠٠٣) أثر اكتساب السلوك العدواني في تشكيل الشخصية لدي تلاميذ مرحلة الأساس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة .
١٦. شهيب ، محمد علي (١٩٨٢) السلوك الإنساني في التنظيم ، دار الفكر العربي، بيروت.
١٧. عبد العزيز ، مفتاح محمد (١٩٩٧) القران وعلم النفس ، قار يونس ، بنغازي.

١٨. عبد الله ، سامية يوسف (٢٠٠٨) التدين وعلاقته بالأمن النفسي لدي طلاب المستوي الجامعي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة .

١٩. عروة ، احمد (١٩٨٧) العلم والدين : مناهج مفاهيم ، دار الفكر ، دمشق .

٢٠. علي ، منافع إبراهيم (٢٠٠٥) الأساليب التربوية التي تستخدمها الأسرة وأثرها علي تكيف الطفل ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة .

٢١. عمران ، كامل متولي (د . ت) مقدمة في العلوم السلوكية ، مطبوعات جامعة القاهرة .

٢٢. فارس ، احمد محمـد (د . ت) النماذج الإنسانية في القران الكريم ، دار الفكر ، بيروت .

٢٣. فروم ، أريك (١٩٧٧) الدين والتحليل النفسي (ترجمة) فؤاد كامل، مكتبة غريب ، القاهرة .

٢٤. فرويد، سيجموند(١٩٨٣) معالم التحليل النفسي (ترجمة) محمد عثمان نجاتي، ط٥ ، دار الشروق، بيروت.

٢٥. نجاتي، محمد عثمان، (١٩٨٢) الأنا والهو، (ترجمة)، ط ٤، دار الشروق، بيروت .

٢٦. قاسم ، عون الشريف (١٩٨٠) في الطريق إلي الإسلام ، دار القلم ، بيروت.

٢٧. قطب ، سيد (١٩٨٢) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار الشروق ، بيروت.

٢٨. لازيروس ، ريتشارد (١٩٨١) الشخصية (ترجمة) سيد محمد غنيم، دار الشروق، بيروت .

٢٩. مغنية ، محمد جواد (١٩٧٧) فلسفة الأخلاق في الإسلام ، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٠. موسي ، سوزان محمد (٢٠٠٦) الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية ، وعلاقتها بشخصية المغترب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة .

٣١. نجاتي ، محمد عثمان (١٩٩٣) القرآن وعلم النفس ،ط ٥ ، دار الشروق، القاهرة.

٣٢. نجاتي ، محمد عثمان (١٩٩٣) الحديث النبوي و علم النفس ، ط ٢ ، دار الشروق القاهرة .

33. Cattell ,R.B .(1970) .The Scientific Analysis of Personality .Penguin . London

34. www .Bafree .net. com .